# مصطلح أهل السنة والجماعة
## وعلاقته بالأشاعرة والماتريدية

د. أحمد حمدي(*)


### ملخص البحث

في هذه الدراسة، وفي إطار البحث عن عقيدة بلا مذاهب، ورغبة مُلِّحة في جمع شمل الأمة الإسلامية أناقش مصطلح أهل السنة والجماعة في جذوره الأولى؛ مبينًا أن هذا المصطلح ليس حكرًا على أحد، وأن العبرة في إطلاق هذا المصطلح على طائفة دون أخرى إنما يكون بمقدار القرب والبُعد فقط من كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

ولعل القضية الرئيسة في هذا البحث هي التأكيد على أن الأشاعرة والماتريدية - في إطار قراءة مقاصدية لعلم الكلام - أحق بمصطلح أهل السنة والجماعة بالأدلة الدامغة، لا كما يرميهم البعض بأنهم سبب وقوع الشرك والضلال بين المسلمين كما يقول السلفيون، حيث أبلوا في تبيين العقيدة الصحيحة للمسلمين، وسلكوا مسلك السلف الصالح في ذلك في كل مسائل العقيدة، ودافعوا عن الإسلام والمسلمين فيما يخص العقيدة الصحيحة، خصوصا في كتاب الإبانة للأشعري، وتأويلات أهل السنة للماتريدي.

### The Abstract

In pursuit of finding the root of the Islamic doctrine without the divisions made by various schools of thought, and out of a persistent desire to reunite the Islamic nation, I discuss, in this study, the etymology of the term Ahlus-Sunnah wa'l-Jama'ah؛ indicating that this term is not restricted to anyone, and that the only criterion upon which this term is given to one group or another is the extent of adherence to the Qur'an and the authentic Sunnah of the Prophet, peace and blessings be upon him.


(*) دكتوراه الفلسفة الإسلامية - كلية دار العلوم جامعة القاهرة - الباحث بمجمع البحوث الإسلامية..

Hence, the main objective of this research is to prove with irrefutable evidence that the Ash'aris and the Maturidis - through a thorough reading of "**Ilm al-Kalām**": Islamic scholastic theology, are most worthy of the title "Ahlus-Sunnah wa'l-Jama'ah" - not the cause of polytheism and delusion among Muslims as referred to by Salafists . This worthiness comes from their success in clarifying the correct Islamic doctrine, and the fact that they followed the path of the righteous predecessors in all doctrine-related-matters, and defended Islam and Muslims therein: especially the book of Al-Ibana by Al-Ashari, and interpretations of the Sunnis by al-Maturidi.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

في إطار البحث عن عقيدة بلا مذاهب، ورغبة ملحة في جمع شمل الأمة الإسلامية التي تفرقت شذر مذر؛ لعوامل داخلية أساسها البُعد عن منهج الله تعالى وهدي نبيه الكريم ﷺ، حيث اتبع الكثيرون أهواءهم، وأعجب كل ذي رأي برأيه، أضف إلى العوامل الخارجية التي تتمثل في كيد أعد الإسلام للإسلام والمسلمين حيث كادوا ولا زالوا يكيدون للإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة؛ لعلمهم أن الإسلام قادم لا محالة، لكن أمد المعركة بأيدينا نحن المسلمين طولًا وقصرًا، والله المستعان على ما يصفون، فإذا أردنا تقصير أمد المعركة وجب علينا الاعتصام بحبل الله المتين، ونبذ الفرقة والاختلاف والعودة للوحدة الإسلامية المطلوبة والتي طال أمد الوصول إليها، وعليه فلا زال أمد المعركة ممتدًا.

وفي إطار قراءة مقاصدية هادفة للم شمل الأمة الإسلامية أقف حول مصطلح «أهل السنة والجماعة» وهو من المصطلحات التي حدث حولها لغط كبير حيث ادعى البعض أنه خاص بهم وخالص لهم دون غيرهم؛ ويزعمون أنهم هم الفرقة الناجية دون سواهم من البشر وأن من عداهم هالك لا محالة بل ويخرجون الناس من الملة إذا رأوا رأيًا مخالفًا لرأيهم وأعني بذلك من احتكروا لأنفسهم مصطلح السلف أو السلفيين فراحوا يجرحون في الآخرين من أهل الكلام أو المتكلمين وغيرهم ممن لا يلتزمون آراءهم وطريقتهم في مسائل الأصول والفروع على حد سواء، مما كان سببًا في اتساع الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن المتكلمين الذين أبلوا في تبيين العقيدة الصحيحة للمسلمين الأشاعرة والماتريدية، وسلكوا مسلك السلف الصالح في ذلك في كل مسائل العقيدة، ودافعوا عن الإسلام والمسلمين فيما يخص العقيدة الصحيحة والرد على أهل الديانات الأخرى.

وفي هذا الدراسة أناقش مصطلح أهل السنة والجماعة في جذوره الأولى؛ مبينًا أن هذا المصطلح ليس حكرًا على أحد، وأن العبرة في إطلاق هذا المصطلح على طائفة دون أخرى إنما يكون بمقدار القرب والبُعد فقط من كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

ولعل القضية الرئيسة في هذا البحث هي التأكيد على أن الأشاعرة والماتريدية - في إطار قراءة مقاصدية لعلم الكلام - من أهل السنة والجماعة بالأدلة الدامغة. لا كما يرميهم البعض بأنهم سبب وقوع الشرك والضلال بين المسلمين. (١)

والحقيقة أن هذا كلام يحتاج إلى مناقشة ردًا على من يقول أن الأشاعرة والماتريدية هما سبب وقوع الشرك بين المسلمين؛ أملًا في تذويب الفرقة المذمومة التي تُسبب فيها أتباع ابن تيمية غير المنصفين له في عصره و إلى يومنا هذا علمًا أن ابن تيمية نقد الكلام والمتكلمين نقدًا بناءً، وبأسلوب متفرد لا كما فهمه أتباعه فهما غير صحيح فبنوا أحكامًا تصف مخالفيهم في طريقة إثبات بعض قضايا العقيدة أنهم أهل فسق وابتداع وأنهم سبب وقوع الشرك بين عامة المسلمين، وهذا ما لا يليق على الإطلاق؛ ومن هنا جاءت هذه الدراسة.

## دواعي الدراسة

تعددت دواعي الدراسة ويمكن إجمال هذه الدواعي فيما يلي:

١- احتكار البعض ممن يسمون أنفسهم بالسلف لمصطلح أهل السنة والجماعة.

٢- القراءة المقاصدية لعلم الكلام الأشعري والماتريدي ضرورة ملحة حيث إنهم أرادوا بكل آرائهم في مسائل العقيدة الأخذ بما جاء بكتاب الله والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

(١) ينظر مثالًا لهذا كتابًا بعنوان: «الماتريدية دراسة وتقوما» د. أحمد بن عوض الله الحربي، ص ٢١٥، دار الصميعي ط٢ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣- إثبات أنه لا مشاحة في اصطلاح أهل السنة والجماعة حيث أن هناك أصولًا تثبت أن الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة مع التأكيد على أن هذا ليس حكرًا عليهم أيضًا، كما أنه ليس حكرًا على غيرهم.

٤- الرد على السلفيين في قولهم بأن المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية قالوا بتأويل آيات الصفات حيث قالوا هم كذلك بتأويلها كنموذج لموقف السلف النقدي من علم الكلام والمتكلمين.

## إشكالية الدراسة

يمكن تحديد الإشكالية الأساسية والتي تسعى الدراسة لأن تقدم لها حلاً علميًّا في الاستفهام الرئيس التالي.

ما المقصود بمصطلح أهل السنة والجماعة؟ وكيف يمكن لنا أن نثبت أنه لا مشاحة في الاصطلاح؛ رغبة في لم شمل الأمة تحت لواء واحد؟

## منهج الدراسة

لا شك أن الباحث لابد له من منهج علمي يأخذ به ؛ حتى يستطيع من خلال هذا المنهج أن يعرض بحثه وفق الأسس العلمية السلمية، وأن يتمكن من استنباط النتائج المفيدة التي يأمل في التوصل إليها.

والمنهج الذي أحدده لأسير عليه نابع من فهمي الخاص لمصطلح أهل السنة والجماعة، وخاضع للغاية التي أعمل لتحقيقها، وهي بيان أنه لا مشاحة في هذا الاصطلاح، وأن المعيار الرئيس في ذلك القرب أو البُعد من كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة عن الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ، وقد تعددت المناهج المتبعة في هذه الدراسة ما بين المنهج التحليلي والمنهج النقدي حيث قمت بتحليل نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة وعلاقة هذا المصطلح بكل من الأشاعرة والماتريدية، ثم يأتي المنهج النقدي الذي لا أتردد من خلاله في إظهار أن الحق أحق أن يتبع دونما تجريح للمخالف فيما يخص مصطلح أهل السنة والجماعة.

## خطة الدراسة

**جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة بها أهم النتائج وثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس البحث على النحو التالي:**

**مقدمة البحث:** بها ملخص البحث ودواعي الدراسة، و إشكالياتها، ومنهج الدراسة.

**تمهيد:** في تحرير مصطلح أهل السنة والجماعة.

**المبحث الأول: الأشاعرة وعلاقتهم بمصطلح أهل السنة، وبه:**

**أولا:** التعريف بالأشعري والأشاعرة.

**ثانيا:** المراحل الرئيسة للمذهب الأشعري.

**ثالثا:** مختصر مسائل العقيدة عند الأشاعرة.

**رابعا:** أسباب شهرة المذهب الأشعري.

**خامسا:** علاقة الأشاعرة بمصطلح أهل السنة.

**المبحث الثاني: الماتريدية وعلاقتهم بمصطلح أهل السنة والجماعة، وبه:**

**أولا:** التعريف بالماتريدي والماتريدية.

**ثانيا:** مراحل المدرسة الماتريدية.

**ثالثا:** مختصر مسائل العقيدة عند الماتريدية.

**رابعا:** علاقة الأشاعرة بمصطلح أهل السنة.

**المبحث الثالث: آيات الصفات بين السلف والمتكلمين.**

**المصادر والمراجع.**

## تمهيد: في تحرير مصطلح أهل السنة والجماعة

إن المتتبع لتاريخ ظهور مصطلح «أهل السنة والجماعة» يستطيع أن يقرر مطمئنًا أن مصطلح أهل السنة والجماعة ليس توقيفيًّا؛ حيث لم يرد في القرآن أو السنة بداية، و إنما اصطلح عليه ليكون علامة مميزة لطائفة من المسلمين لها من الصفات والخصائص ما يميزها عن غيرها، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة كما جاء في حديث النبي ﷺ.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح «أهل السنة والجماعة» نشأ عندما ظهرت البدع في أواخر عهد الصحابة كبدعة التشيع، والقدرية، والخوارج، وأول من أثر عنه هذا اللفظ هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة[(١)].

وحري بنا التأكيد على فكرة محورية في هذه الدراسة حول نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة، أن بدعة التشيع والتي ظهر من خلالها فكرة الوضع (**الملل والنحل**) في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قد ظهر في المقابل لها السلفيون الذين نحلوا أنفسهم «أهل السنة والجماعة»، الذين أخذوا بظاهر النص في القرآن والحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ ردًا على أهل البدعة من الشيعة الذين قاموا بوضع الأحاديث عن رسولنا الكريم محمد ﷺ؛ وأنه لا سلطان للعقل في تأويل القرآن الكريم وتفسيره أو تخريجه فالعقل يكون شاهدًا لا حاكمًا، يكون مقررًا مؤيدًا ولا يكون ناقضًا أو رافضًا، و يكون موضحًا لما اشتمل عليه القرآن الكريم من الأدلة.[(٢)]

وتجدر الإشارة أننا سنقف مع قضية التأويل التي يرفضها السلفيون قائلين بالتفويض حيث عادوا فقالوا بتأويل بعض آيات الصفات في القرآن الكريم أقصد الصفات الخبرية عن الله تعالى، وهو ما سنقف عليه تفصيلًا في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

والمقصود من هذا المصطلح إظهار أعظم ما تميز به أهل السنة من تمسكهم بطريق النبي

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٧٩، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

(٢) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي، ص ١٧٩.

في القول والفعل والتقرير، وتمسكهم بجماعة المسلمين، معتصمين جميعًا بحبل الله دون فرقة أو شقاق.

وأهل السنة والجماعة هم المتمسكون بسنة النبي ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى من بعدهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والعمل إلى يوم الدين.

وحري بنا الإشارة إلى أن أهل السنة قد يسمون ببعض أسمائهم أو صفاتهم المأثورة عن النبي ﷺ أو عن أئمتهم المقتدى بهم، فقد يطلق عليهم أهل السنة دون إضافة الجماعة، ومن ذلك أن بعض من صنف في الاعتقاد في القرون المفضلة أطلق على كتابه اسم السنة مثل كتاب «السنة» للإمام أحمد بن حنبل، و«السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد.

وقد يطلق عليهم الجماعة فقط، أخذًا من حديث النبي ﷺ حيث يقول: **«إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»**[1].

مما سبق يتضح لنا أنه لا مشاحة مطلقًا في اصطلاح تسمية لأهل الحق يعرفون بها وبها يتميزون، وذلك في مقابل الفرق الضالة وأصحاب الأفكار المنحرفة المنسوبة إلى الإسلام كالقدرية، والخوارج، والجهمية، وغيرهم.

ومما يجب أن ننبه إليه هو أن العبرة بالمنهج الذي عليه الفرد أو الجماعة، وأنه لا اعتبار لهذه المسميات إذا لم يكن الموسوم به ملتزمًا بمنهج الحق الذي كان عليه سلف الأمة، وسيتضح ذلك جليًا حينما نسقط هذا المصطلح على أبي الحسن الأشعري والأشاعرة، وكذلك الماتريدي والماتريدية.

(١) رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

## المبحث الأول

# الأشاعرة وعلاقتهم بمصطلح أهل السنة والجماعة

## أولا: التعريف بالأشعري والأشاعرة

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، ولد سنة ٢٦٠هـ على أرجح الروايات، توفي أبوه وهو في سن صغيرة وأوصى بابنه أبي الحسن إلى زكريا الساجي الذي كان إمامًا في الحديث والفقه في زمنه، ونقل السمعاني في الأنساب: أن الأشعري لقب بذلك اللقب؛ لأن أمه ولدته أشعر، وكان مولده بالبصرة، وإقامته في بغداد، وظل بها إلى أن توفي سنة ٣٢٤هـ على أصح الروايات في هذا الشأن[١].

التحق الأشعري بعد نشأته بالمعتزلة مبكرًا ودرس مذهب الاعتزال على الجبائي زوج أمه ورئيس المعتزلة في ذلك الوقت، واستمر في الاعتزال حتى بلغ فيه شأوًا كبيرًا، حتى أنابه أستاذه الجبائي عنه في كثير من المناظرات والمجادلات، وقد ألف الأشعري في هذه الفترة من حياته كتبًا كثيرة على مذهب الاعتزال، وظل على هذه الحال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم اعتزل الناس فترة خرج بعدها إلى المسجد الجامع بالبصرة، ثم نادى في الناس قائلًا: إنه ترك مذهب الاعتزال وتاب مما كان عليه، وأنه قد اعتزم إظهار معايب المعتزلة، وأنه قد انخلع من عقائده السابقة كما ينخلع من ثوبه هذا ثم خلع ثوبه ورمى به إلى الناس[٢]

**والسؤال الذي يفرض نفسه: ما الجو الفكري الذي عاش فيه الأشعري؟**

لقد عاش أبو الحسن الأشعري كما ذكرنا ما بين عامي ٢٦٠ إلى ٣٢٤هـ أي في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري والربع الأول من القرن الرابع الهجري، وهذه الفترة تقع

(١) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر. ط دمشق سنة ١٣٤٧ه ص(٣٥) وما بعدها نقلًا عن. تحقيق الدكتور الجليند لرسالة أبي أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص(١٣)، علما بأن د/ حمودة غرابة ذكر على غلاف تحقيقه لكتاب اللمع أنه توفي عام ٣٣٠هـ، وإن كان قد ذكر في كتابه «أبو الحسن الأشعري» أنه توفي عام ٣٢٤هـ، والكتاب من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٩٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) ذكر هذه الرواية الكثير من كتب الطبقات مثل الفهرست لابن النديم، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر، وكذلك الكثير ممن تحدث عن الأشعري والأشاعرة في العصر الحديث، انظر مثلا: مقدمة تحقيق الدكتور الجليند لرسالة الأشعري رسالة إلى أهل الثغر ط المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٣٣هـ.

في عصر الدولة العباسية، والدولة البويهية ودولة الحمدانيين، وغيرها من الدول التي ظهرت بمصر وغيرها.

وفي ظل هذه الظروف المضطربة كانت فرقة المعتزلة قد ظهرت وقويت شوكتها حينما حظيت بتقدير كبار خلفاء بني العباس لردح طويل من الزمن.

وعلى رأس الخلفاء العباسيين الذين عنوا بالمعتزلة: أبو جعفر المنصور؛ لما كان بينه وبين عمرو بن عبيد المعتزلي من صلات، ثم كان المهدي من بعده، حتى جاء عصر المأمون فزاد ظهور المعتزلة بقوة حيث كان عصره عصر قوة سياسية وازدهار حضاري بسط فيه المعتزلة نفوذهم، وأحدثوا محنة القول بخلق القرآن وهي من مسائل العقيدة، وكانت هذه المحنة محنة للفقهاء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة و إمام السلف الصالح، واستمر موقفهم هذا في عصر كل من: المعتصم والواثق حتى جاء المتوكل فرفع المحنة عن الأئمة وردَّ لأهل السنة اعتبارهم فقلت سيطرة الاعتزال، و إن ظل رجاله يواصلون آراءهم الجدلية التي تنحو بهم منحى بعيدًا عن جادة الصواب في كثير من أمور العقائد[1].

وحري بنا أن نُشير إلى أنه على الرغم من أفول نجم المعتزلة، وثبوت قدم أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه، فقد زاد ظهور فرق أخرى كثيرة كالقدرية (نفاة القدر)، والجهمية، والكرامية، والمعتزلة، والروافض، والقرامطة، والباطنية مما أثر سلبًا- بلا شك- على وحدة المسلمين وتماسكم فدب الخلاف وضعفت الدولة وعمَّ الجدل العقيم إلى أن قيض الله لهذه الأمة كلًا من: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي حيث قاوم كل منهما تلك الفرق في موطنه بجرأة واقتدار.

إذن الفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري تمثل نتاج صدام كبير بين هذه الفرق التي زلت قدمها ووقعت في كثير من المحاذير خصوصًا حول أمور العقيدة كما أشار إلى ذلك أبو الحسن الأشعري في مقدمة الإبانة عن أصول الديانة في فصل بعنوان: «فصل في قول أهل الزيغ والبدع» حيث يقول:

(١) انظر: أبو الحسن الأشعري شيخ أهل السنة والجماعة للدكتور محمد إبراهيم الفيومي، ص (١٢٥)، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

«أما بعد فإن كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم ينزل به الله سلطانًا ولا أوضح به برهانًا ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبي الله ﷺ في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار... إلى أن يقول:

في الفصل التالي بعنوان «فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة».

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عَزَّوَجَلَّ وبسنة نبينا محمد ﷺ وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، ونحن بذلك معتصمون وبما يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل- نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل...

وجملة قولنا: أنَّا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق... إلى آخر ما قال في هذا الفصل، ثم شرع في تفصيل مقالته بابًا بابًا، كما جاء في كتاب الإبانة عن أصول الديانة للأشعري[1].

**مصنفاته:**

ذكرت كتب الطبقات أن لأبي الحسن الأشعري ما يزيد على تسعين مؤلفًا، غير أن ما وصلنا من مؤلفاته قليل، حيث يذكر له بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» ستة مصنفات هي:

١. مقالات الإسلاميين.

٢. رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام.

(١) انظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري، من ص ٢٠ إلى ص ٢٢، تحقيق د. فوقية حسين محمود، ط١، دار الأنصار، ١٣٩٧هـ.

٣. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

٤. قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة في الاعتقاد.

٥. رسالة كتبها إلى أهل الثغر.

٦. الإبانة عن أصول الديانة[١].

**وفاته:**

توفي الأشعري على أرجح الأقوال كما ذكرت عام ٣٢٤هـ، ودفن ببغداد وإن ذكر البعض أنه توفي عام ٣٣٠هـ كما أشرنا سابقًا.

## ثانيا: المراحل الرئيسة للمذهب الأشعري

**المرحلة الأولى:** مرحلة الاعتزال والتي كان فيها على مذهب المعتزلة، وتغذى على موائدهم إبان إقامته في منزل الجبائي من شيوخ المعتزلة وزوج أمه كما هو معلوم.

**المرحلة الثانية:** ابتعاده أو انخلاعه من عباءة الاعتزال واتخاذه لنفسه طريقًا هو طريق أهل السنة- كما سيتضح- وقد أفصح عن ذلك بقوله في مقدمة كتابه الإبانة حيث يقول: «قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها هي التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، وعمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمه الله تعالى من إمام مقدم، وكبير مفهم، ورحمته على جميع أئمة المسلمين»[٢].

وتجدر الإشارة أن الأشعري قال ذلك بعد أن فند آراء المعتزلة وأهل القدر، وأثبت فساد

(١) انظر في ذلك: مقدمة تحقيق د محمد السيد الجليند لرسالة الأشعري إلى أهل الثغر ص(١٧) وما بعدها، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣م، المكتبة الأزهرية للتراث، وأبو الحسن الأشعري للدكتور إبراهيم الفيومي مرجع سابق ص (١٢٣، ١٢٤).

(٢) الإبانة لأبي الحسن الأشعري، من ص ٢١، مرجع سابق.

أقاويلهم في تأولهم للقرآن ورؤية الله تعالى بالأبصار و إنكار شفاعة النبي ﷺ، وجحودهم عذاب القبر، وقولهم بخلق القرآن، إلى غير ذلك مما قالت به المعتزلة والقدرية.

وبناءً على ما سبق يتضح جليًا أن الإمام أبا الحسن الأشعري جاء لإحياء آراء الإمام أحمد ابن حنبل حيث سار على ما كان عليه الإمام أحمد في العقيدة مما يعتبر إيذانًا بارتباط مصطلح أهل السنة والجماعة بأبي الحسن الأشعري وأتباعه فيما بعد[١].

## ثالثا: مختصر مسائل العقيدة عند الأشاعرة

١- رأي الأشعري في الصفات أثبت الصفات التي وردت كلها في القرآن والسنة، وقرر أنها صفات تليق بذاته تعالى، ولا تشبه صفات الحوادث التي تسمى باسمها، فسمع الله تعالى ليس كسمع الحوادث، وبصره ليس كبصرهم، وكلامه ليس ككلامهم.

٢- رأي الأشعري في قدرة الله تعالى وأفعال الإنسان أن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يقدر على الكسب.

٣- بالنسبة لرؤية الله يوم القيامة، فإن الله يُرى من غير حلول ولا حدود.

٤- بالنسبة للألفاظ التي وردت موهمة للتشبيه في القرآن والحديث مثل « **يد الله فوق أيديهم**» الأشعري: يده يد تليق بذاته الكريمة، وليست يد جارحة كأيدينا، بل يده يد صفة كالسمع والبصر، وهذا ما جاء في كتاب الإبانة فإنه قد صرح بالتفويض بأن فوض اليد، ونفى التشبيه.

٥- بالنسبة للقرآن قال: القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع، فأما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات.

٦- بالنسبة لمرتكب الكبيرة يرى أن المؤمن الموحد الفاسق هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، و إن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة.

---

(١) ينظر تفاصيل منهج الأشعري في رسائله الثلاثة: اللمع، والإبانة، ورسالته إلى أهل الثغر، علما بأن هناك اختلافًا في المنهج بين هذه الرسائل الثلاثة، كما أن هناك اختلافًا في تناول بعض القضايا مما يوضح تطور المنهج عند الأشعري من مرحلة إلى مرحلة.

٧- بالنسبة للشفاعة :قال إن للرسول- صلوات الله وسلامه عليه- شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة، يشفع لهم بأمر الله و إذنه ولا يشفع إلا لمن ارتضى، كسائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٨- وقد سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلًا بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلًا، فهو لا يتخذ من العقل حاكمًا على النصوص ليؤولها أو يقول بظاهرها، بل يتخذ العقل خادمًا لظواهر النصوص يؤيدها.

**وتجدر الإشارة إلى أن الأشعري قد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية، ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة، والسبب في سلوكه ذات المسلك العقلي ما يلي:**

أ - أنه تخرج على المعتزلة، وتربى على موائدهم الفكرية، فنال من مشربهم وأخذ من منهلهم، واختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن، ولم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث، وقد سلك المعتزلة في طريقتهم في الاستدلال مسلك المناطقة والفلاسفة.

ب- وأنه قد تصدى للرد على المعتزلة ومهاجمتهم، فلا بد أن يلحن بمثل حجتهم، وأن يتبع طريقتهم في الاستدلال ليظهر عليهم برأيه، ويقطع شبهاتهم بما في أيديهم ويرد حجتهم عليهم.

ج- وأنه قد تصدى للرد على الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية وغيرهم وكثير ومن هؤلاء لا يفحمه إلا الأقيسة المنطقية، ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل.

والحقيقة أن شأن المعتزلة ضعف في القرن الثالث والقرن الرابع الهجري، وقد كانوا متصدين للرد على أهل الأهواء، وعلى الذين يهاجمون الإسلام، وأبلوا في ذلك بلاءً حسنًا، فلما ضعف شأنهم كان لا بد أن يكون بين علماء السنة من يتولى ذلك العمل الكبير الخطير؛ لأنه تلميذ المعتزلة، وعرف بلاءهم في هذا الأمر، ولأنه صار إمام السنة المعروف في ذلك العصر، بعد أن زالت دولة المعتزلة.

## رابعا: أسباب شهرة المذهب الأشعري

وأيًا كان الأمر فقد انتشر المذهب الأشعري في شرق العالم الإسلامي وغربه؛ لأسباب ترجع إلى تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة كما ذكر الأشعري ذلك في تصدير كتابه «الإبانة» و إلى ظروف سياسية أهمها رعاية السلاجقة له في الشرق، والمرابطين في المغرب، والأيوبيين في مصر، ولا يزال المذهب الأشعري- مع رفيقه الماتريدي- صاحب الهيمنة على الأوساط الكلامية أو العقائدية في الجامعات الدينية السنية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي- ومنها الأزهر الشريف- لولا منافسة الأفكار التي يشيعها أتباع ابن تيمية[١].

## خامسا: علاقة الأشاعرة بمصطلح أهل السنة والجماعة

أشرت فيما سبق إلى أن العبرة فيما يخص مصطلح أهل السنة والجماعة إنما يرجع لتمسك الفرد أو الجماعة بما كان عليه السلف الصالح من صحابة النبي ﷺ والتابعين من بعدهم، والبُعد عن كل ابتداع في الدين وفرقة بين جماعة المسلمين.

وفيما يخص علاقة الأشعري بمصطلح أهل السنة والجماعة فإن الأشاعرة عرفوا فيما يعرف بمدارس علم الكلام أنهم أهل السنة والجماعة، وأنهم بعيدون عن الفرق المنحرفة كالشيعة، والخوارج، وغيرهم، وخصوصًا المعتزلة.

ولعل رسالة الأشعري إلى أهل الثغر تعد البداية الحقيقية لارتباط مصطلح أهل السنة والجماعة بالأشعري والأشاعرة من بعده حتى الإمام الباقلاني ت ٤٠٣هـ صاحب التمهيد، حيث يتخذ المذهب فيه موقفًا قريبًا من السلف أو أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين و يعادي الفلسفة والاعتزال، وقد أكد هذا العهد السمت المعتدل للأشعرية، مما أعطاها قبولًا في الأوساط المختلفة بين المتكلمين والصوفية والمحدثين[٢].

أعود فأقول: إن رسالة الأشعري إلى أهل الثغر تُعد البداية الحقيقية لارتباط مصطلح أهل السنة والجماعة بالأشعري والأشاعرة من بعده حيث أشار إلى ذلك محقق الرسالة الأستاذ

(١) انظر: المدخل لدراسة علم الكلام، أ. د. حسن الشافعي، مرجع سابق، ص (٨٩).
(٢) انظر: المدخل لدراسة علم الكلام، د. حسن الشافعي، مكتبة الثقافة العربية، ص (٨٨).

الدكتور محمد السيد الجليند، وأسماها نصًا «أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر» حيث يقول:

«اشتهرت الرسالة بين الباحثين قديمًا وحديثًا باسم رسالة إلى أهل الثغر وهم بذلك أطلقوا على الرسالة اسم الجهة التي بعثت إليها و إلى أهلها، من باب إضافة الشيء إلى محله كما يُقال: المسألة المصرية، والمسألة الفلسطينية، لكن بعد أن اطلعنا على الرسالة وجدنا المؤلف لم يضع لها هذا الاسم، ولا اقترحه لها، و إنما ذكر لنا أن أهل الثغر قد طلبوا منه أن يذكر لهم «الأصول التي عول عليها سلفنا رحمة الله عليهم» جاء ذلك في لوحة رقم ١ أ من المخطوط»[(١)].

إلى أن يقول: «وبادر المؤلف فذكر لهم الأصول فقال: فبادرت أيدكم الله بإجابتكم وذكرت لكم جملًا من الأصول مقرونة بأطراف من الحجاج».

**ثم جاء الباب الثاني في الرسالة بعنوان:**

«باب ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها وأخذوا في وقت النبي ﷺ بها».

ثم ختم المؤلف الرسالة بقوله: «فهذه الأصول التي نص الأسلاف عليها واتبعوا حكم الكتاب والسنة فيها»[(٢)].

ومما سبق يتبين لنا حرص الأشعري على أن يسمي رسالته إلى أهل الثغر بأنها أصول أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها وأجمعوا على الأخذ بها.

كذلك فإن بعض العلماء المعاصرين وهو الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي حرص على تسمية الأشعري بشيخ أهل السنة والجماعة في موسوعته الشهيرة حول تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني حيث عنون الكتاب الخامس بعنوان «شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري».

يقول الدكتور محمد إبراهيم الفيومي حول انتماء الأشاعرة إلى أهل السنة: «ثم إن المتكلمين معتزلة وأشاعرة يقدمون الكلام على أنه «علم السنة والجماعة»، وفي معرض الرد

(١) انظر: تحقيق د. محمد السيد الجليند لرسالة أبي الحسن الأشعري، أصول أهل السنة والجماعة ص (٢٣، ٢٤).
(٢) السابق، ص (٢٤).

على الحنابلة مضى بعض المدافعين عن الأشعرية، وبينهم ابن عساكر (ت: ١١٧٨) والسبكي (ت: ١٣٧٠)، إلى تصوير الأشعري شخصًا «ذا وجهين»: ليس فقط وجه المتكلم العقلاني، بل وجه السلفي الحنبلي فقد ذكروا عنه رفضه تأويل القرآن، وخاصة الآيات المتعلقة بالصفات الإلهية[١].

**وبناءً على ما سبق فقد ارتبط مصطلح أهل السنة والجماعة بالأشعري ومتقدمي الأشاعرة من بعده؛ حيث يمكن أن نذكر هنا أن المذهب الأشعري قد مرَّ بعهدين رئيسين:**

**الأول**: يبدأ بمؤسس المذهب وينتهي إلى الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) صاحب التمهيد حيث يتخذ المذهب فيه موقفًا قريبًا من السلف- كما أشرت- ويُعادي الفلسفة والاعتزال، وقد أكد هذا العهد السمت المعتدل للأشعرية مما أعطاها قبولًا في الأوساط المختلفة بين المتكلمين والصوفية والمحدثين.

**الثاني**: يبدأ بعد ذلك، ربما بابن فورك الأصفهاني صاحب التأويل (ت ٤٠٦هـ) مرورًا بالشهرستاني والجويني والغزالي ومن جاء بعدهم، وفيه نزع المذهب إلى الإسراف في التأويل، وتبنى المناهج الاعتزالية، والقبول ببعض الأفكار الفلسفية وخاصة المنطقية، مما كان تمهيدًا للتطور الذي لحق بالمذهب بعد ذلك حتى كاد يلتحم بالاعتزال[٢].

وكما أشرت فإن مصطلح أهل السنة والجماعة لا مشاحة فيه لفرد ولا لجماعة إلا بالقرب أو البُعد عن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

---

(١) شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي، د. محمد إبراهيم الفيومي، ص ٤٨١ط دار الفكر العربي ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: المدخل لدراسة علم الكلام، د حسن الشافعي، مرجع سابق. ص ٨٨.

## المبحث الثاني

# الماتريدية وعلاقتهم بمصطلح أهل السنة والجماعة

## أولا: التعريف بالماتريدي والماتريدية

**الماتريدية هم أتباع** الإمام أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمر قندي الأنصاري، والماتريدي نسبة إلى ما تريد أو ما تريت[١]، وهي محلة بسمر قند في جمهورية أوزباكستان.

لم يحدد الذين ترجموا للماتريدي سنة محددة لمولده، إلا أن الدكتور محمد أيوب على يرجح أنه ولد حوالي سنة ٢٣٨هـ، وذلك لأن تاريخ وفاة اثنين من شيوخه، وهما محمد بن مقاتل الرازي كان سنة ٢٤٨هـ، ونصير بن يحيى البلخي كان سنة ٢٦٨هـ، إذًا فلا بد أن ولادة الماتريدي كانت قبل سنة ٢٤٨، ولا يبدو من الصواب افتراض أن عمره كان أقل من عشر سنوات حين وفاة شيخه محمد بن مقاتل[٢].

هذا وقد لقبه أصحابه بألقاب مختلفة تومئ إلى ما لذلك الرجل من مكانة في نفوس أتباعه، وإلى الدور الذي قام به في الدفاع عن عقيدة الإسلام، ومن هذه الألقاب: إمام الهدى، وعلم الهدى، وإمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين، وهو رئيس أهل السنة في بلاد ما وراء النهر.

وأما عن وفاة الإمام أبي منصور الماتريدي فقد أجمع عامة من ترجم له على أنه توفى عام ٣٣٣هـ ودفن بسمر قند، وبذلك يكون الماتريدي قد عاش ما يقرب من المائة عام .

### منزلته العلمية:

يحتل الماتريدي- بلا شك- منزلة علمية كبيرة في تاريخ الفكر الإسلامي حيث إنه مؤسس لإحدى المدارس الكلامية التي ذاع فكرها في العالم الإسلامي، وهي المدرسة الماتريدية، والتي أصبحت هي والأشعرية تتقاسمان العالم الإسلامي، وهذا ما أشار إليه طاش كبرى زاده

(١)انظر الأنساب للسمعاني ٤٩٨ جـ٥ /١٥٥، ط دار الجنان.

(٢) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي ٢٦٤، ٢٦٥ رسالة دكتوراه بدار العلوم - جامعة القاهرة.

بقوله: «إن رئيس أهل السنة والجماعة رجلان، أحدهما حنفي، والآخر شافعي، أما الحنفي، فهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى...، وأما الآخر، فهو شيخ السنة، ورئيس الجماعة، إمام المتكلمين أبو الحسن الأشعري البصري»[١].

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوي أن الماتريدي جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة [٢]

## ثانيا: مراحل المدرسة الماتريدية

١- مرحلة التأسيس من (٢٥٨ - ٣٣٣) وهي مرحلة النشأة والتأسيس، وعرف فيه الماتريدي بآرائه الكلامية التي سخرها للرد على المعتزلة وأهل الديانات الأخرى وظهر ذلك من خلال كتابيه: التوحيد والتأويلات.

٢- مرحلة التكوين من (٣٣٣- ٤٠٠هـ)، وهي مرحلة تلامذة الماتريدي الذين تأثروا به، وسعوا في نشر أفكاره والدفاع عنها، أمثال: الحكيم السمرقندي (ت٣٤٢هـ) وأبو محمد عبد الكريم البزدوي (ت٣٩٠هـ) وغيرهم.

٣- مرحلة النضج من (٤٠٠- ٥٠٠هـ) وهي مرحلة تلامذة التلاميذ، وهي امتداد للدور السابق، وقد سعى فيه أصحابه إلى التأليف والنشر لآراء الماتريدي ومن أعيان هذه المرحلة أبو اليسر البزدوي صاحب أصول الدين (ت٤٩٣هـ) ومحمد بن الفضل البلخي (ت٤١٩هـ).

٤- مرحلة الذيوع والانتشار من (٥٠٠- ٧٠٠هـ)، وتُعد هذه المرحلة من أهم المراحل، لاحتوائها على مشاهير الماتريدية ومن أعيان هذه المرحلة: أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ) صاحب التبصرة، ودوره في المدرسة الماتريدية كالباقلاني والغزالي من الأشعرية، وكذلك نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت٥٣٧هـ) صاحب العقائد النسفية وهو عمدة الماتريدية في مناهجهم الدراسية إلى يومنا هذا.

---

(١) مفتاح السعادة ٢/ ١٥١، ١٥٢ تحقيق كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، ط دار الكتب الحديثة.

(٢) رجال الفكر والدعوة لأبي الحسن الندوي، ص ١٣٦، ط جامعة دمشق، ط ١٣١ شعبان ١٣٧٩هـ/ ١٠ شباط ١٩٦٠م.

وفيما يخص العقيدة عند الماتريدية فهي تقريبًا العقيدة عند الأشعرية فكلتاهما متقاربتان، ولو أن الماتريدية يعطون مجالا أكثر للعقل فإذا كان الأشاعرة يعتبرون معرفة الله واجبة بالشرع، فإن الماتريدية يعتبرونها واجبة بالعقل اتباعا لمنهج أبي حنيفة، ومن هنا فإن الماتريدية يعطون سلطانًا للعقل من غير شطط أو إسراف.

## ثالثا: مختصر مسائل العقيدة عند الماتريدية

١- النقل والعقل كلاهما مصدر رئيس في طلب علم العقائد، مع التأكيد على أن العقل يؤخذ به ما لم يخالف الشرع، فإن خالف الشرع فلا بد من الخضوع لحكم الشرع.

٢- أن القول بوجوب النظر العقلي مع الاستعانة بالنصوص هو رائد الماتريدي في تفسير القرآن الكريم، فهو في تفسيره للقرآن يحمل المتشابه على المحكم، فإن لم تكن عند المؤمن الطاقة العقلية للتأويل فالتفويض أسلم، فهو يفسر القرآن بالقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

٣- يرى الماتريدية أن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، ولكن العقل لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية، وذلك هو رأي أبي حنيفة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- الماتريدية يرون أن للأشياء قبحًا ذاتيًّا، فهم يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين، ومع ذلك فإنهم يرون أن هناك أمورًا لا يعرف وجه الحسن فيها ووجه القبح إلا من الشارع، وهذا الرأي يخالف فيه الماتريدي الأشعري، حيث يرى الأشعري أن التحسين والتقبيح من الشارع سبحانه وتعالى، فالحسن حسن لأن الله أمر به، والقبيح قبيح لأن الله تعالى نهى عنه.

٥- أفعال الله تعالى عند الماتريدية على مقتضى الحكمة، ولكنه سبحانه قصد أفعاله غير مجبر، وفي ذلك يخالف الماتريدي كلا من الأشاعرة والمعتزلة.[١]

٦- العبد في أفعاله عند الماتريدية حر مختار في الكسب، حيث يرى أن الكسب بقدرة العبد وتأثيره[٢].

(١) يرى الأشاعرة أن أفعال الله تعالى لا تعلل، والمعتزلة على النقيض من ذلك تماما.

(٢) رأي الماتريدية في أفعال العباد مخالف لرأي المعتزلة الذين يرون أن العبد قادر على خلق أفعاله بقدرة=

٧- في مسألة الصفات أثبت الماتريدية الصفات الإلهية لله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم قالوا ليست شيئًا غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات فليس لها كينونة مستقلة عن الذات؛ حتى لا يقال إن تعددها يؤدي إلى تعدد القدماء، وبهذا خالف الماتريدية المعتزلة الذين قالوا بنفي الصفات، وكذلك خالفوا الأشاعرة الذين قالوا إن الصفات شيء غير الذات[١].

٨- الماتريدية في مسألة خلق القرآن يرون أن كلام الله قديم غير مخلوق خلافًا للمعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن.

٩- الماتريدية على الرغم من قبولهم الصفات التي وصف الله بها نفسه ينزهون الله تعالى عن الجسمية وعن المكان والزمان.

١٠- بالنسبة لرؤية الله تعالى يثبت الماتريدية رؤية الله تعالى يوم القيامة على ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ يقول الماتريدي في كتاب التوحيد:

قال أبو منصور رحمه الله القول في رؤية الرب عَزَّوَجَلَّ عندنا لازم وحق من غير إدراك ولا تفسير فأما الدليل على الرؤية فقوله تعالى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولو كان لا يرى لم يكن لنفى الإدراك حكمة إذ يدرك غيره بغير رؤية فموضع نفى الإدراك وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية لا معنى له وبالله التوفيق.[٢]

١١- المؤمن عند الماتريدية وبإجماع علماء المسلمين لا يخلد في النار فيرى الأغلبية أن المؤمن لا يخلد في النار، حيث يعاقب على ما ارتكب من الكبائر ثم يخرج من النار برحمة من الله تعالى ويدخله الله الجنة، أو أن أمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه.

---

= أودعها الله فيه، وكذلك مخالف للأشاعرة الذين يرون أن الكسب للعبد لا تأثير له فيه، وينظر تفصيل ذلك كله كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام الشيخ محمد أبي زهرة ص ١٦٩- ١٧٣، مرجع سابق.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٣، الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، مرجع سابق.

(٢) التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ص ٧٧ تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

## رابعا: علاقة الماتريدية بمصطلح أهل السنة والجماعة

أشرت فيما سبق إلى أن العبرة فيما يخص مصطلح أهل السنة والجماعة إنما يرجع لتمسك الفرد أو الجماعة بما كان عليه السلف الصالح من صحابة النبي ﷺ والتابعين من بعدهم، والبُعد عن كل ابتداع في الدين وفرقة بين جماعة المسلمين.

وفيما يخص علاقة الماتريدية بمصطلح أهل السنة والجماعة فإن الماتريدية - كما أشرت سابقا- عرفوا فيما يعرف بمدارس علم الكلام أنهم أهل السنة والجماعة، وأنهم بعيدون عن الفرق المنحرفة كالشيعة، والخوارج، وغيرهم، وخصوصًا المعتزلة.

ولعل بداية العلاقة بين مصطلح أهل السنة والماتريدية يبدأ من عنوان تفسير الماتريدي للقرآن الكريم المسمى بـتأويلات أهل السنة» والذي ظهر مؤخرًا إلى النور محققًا كاملًا بعد أن أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جزءًا واحدًا منه، وتوقف ثم قدِّر لهذا السفر العظيم أن يخرج إلى النور بتحقيق السيدة/ فاطمة يوسف الخيمي، وكنت قد حصلت على النسخة كاملة من مؤسسة الرسالة بالقاهرة[١].

تقول محققة «تأويلات أهل السنة» للماتريدي مبينة ارتباط مصطلح أهل السنة بالماتريدي: «وقد تصدى أبو منصور الماتريدي إلى كل من كتب في مذهب غير مذهب أهل السنة والجماعة، ولا سيما في مذهب منحرف عن السنة؛ ليبين للعالم والمتعلم مدى خطأ ذلك المذهب البعيد عن السنة، وصحة مذهب أهل السنة.[٢]

وتقول أيضا في وصف كتاب التأويلات للماتريدي:» ويُعد هذا الكتاب من أهم ما صنف أبو منصور الماتريدي؛ لأنه يمثل قمة ما وصل إليه علمه، الذي نذر فكره وحياته له لبيان صحة مذهب أهل السنة والجماعة والدفاع عنه تجاه تيارات المذاهب المخالفة والراغبة في زعزعة صرح العقيدة الإسلامية»[٣].

(١) جهود المدرسة الماتريدية في الرد على أهل الديانات الأخرى حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. أحمد حمدي، ص ٢٨، ٢٩، ط ١ المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة للماتريدي، جـ ١/١٢ تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) السابق ص ١٣.

وكان ممـا فضل الله على أبي منصـور أن وفقه إلى تصنيف هذا الكتاب في تأويل آي الذكر الحكيم ليكون عمدة لأهل السنة والجماعة على مر الأزمان والعصور.

كذلك كان منهج الماتريدي في التفسـير حيث يعرض الرأي المخالف لأهل السـنة ثم يرد عليه بالأدلة النقلية والعقلية التي يلتزم بها؛ لإيضاح عقيدة أهل السنة الصحيحة متوخيًّا جادة الصواب والحكمة[١].

أضف إلى ما سـبق ما ذكره صاحبا أول محاولة لتحقيق تأويلات الماتريدي وهما الدكتور إبراهيم عوضين والسـيد عوضين في تقديمها للتحقيق حيث يذكران عقيدة الماتريدي السـنية، وأن منهجه في التفسـير هو منهج أهل السـنة حيث يقولان: «وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقارئ هو جهد متقدم لواحد من جلة علماء المسلمين الذين قاموا لهذا الدين وكتابه الكريم في النصـف الثـاني من القرن الثالث الهجري، وقدم فيه تأويـلًا لآيات القرآن الكريم في نطاق العقيـدة السـنية التـي دان بها، وعمل لهـا إلى أن يقولا: «ثـم إن الماتريدي تعـرض لبعض آراء المتصوفة - أو كما سـماهم المتقشـفة - فدفعها بصريح القـرآن الكريم كما هو منهجه في كل مناقشـاته وأبحاثه حيث لا يحمل الآيـة أثقال آرائه - كما يفعل بعـض المفسرين- وإنما يأخذ بالصريح الواضح. وهذا هو منهج أهل السنة»[٢].

وفي التحقيـق الثاني لكتـاب «التوحيد» للماتريدي، والذي صدر عـن وقف ديانة تركيا/ مركز البحوث الإسـلامية يقول المحققان حول تلقي الماتريدي للعلم من شـيوخه وبيان دوره في هـذا التلقي بالعالم الواعي: «بيد أن هذا التراث حُوِّل على يد الماتريدي من عقيدة إلى علم، حيـث حقق تلك الأصـول بالأدلة القاطعة، وناقـش الفروع بالحجج الدامغـة، وأتقن الحوار والمناظرة بالبراهين اليقينية اللامعة؛ ليصبح بحق رأس مدرسـة أبي حنيفة، ورئيس أهل السـنة والجماعة في بلاد ما وراء النهر[٣].

(١) انظر السـابق ١٤/١، ١٥، وتجدر الإشارة إلى أننا سـنقف مع منهج الماتريدي في التفسير تفصيلًا في مبحث مستقل.

(٢) تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة للماتريدي، جـ١ ص ٨، ٩، تحقيق د. إبراهيم عوضين وسيد عوضين، ط٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) مقدمـة تحقيـق كتـاب للتوحيد لبكر طوبـال أوغلي ود. محمـد آروتـشي، ص ٢٥، ٢٦، ط مركز البحوث الإسلامية، تركيا، أنقرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

وهكذا يتضح أن أبا منصور الماتريدي درس العلوم العقلية كما درس العلوم النقلية درسًا عميقًا متقنًا - يظهر ذلك من خلال تفسيره الماتع تأويلات أهل السنة - ووقف على أصول هذه وتلك، وتعرف على دقائقها، حتى صار إمامًا مبرزًا في الفقه والتفسير والكلام. ويتضح أنه استقبل ما قدم له من آثار شيوخه استقبال العالم الواعي فرواها لتلاميذه واستوعبها ثم نماها، فأخذت على يديه شكلًا آخر ليؤدي دوره في بيان عقيدة أهل السنة، وينبه إلى ما لا يصح الاعتقاد به من غير دليل ولا برهان.

كذلك فإن الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي حرص على تسمية الماتريدي بشيخ أهل السنة والجماعة في موسوعته الشهيرة حول تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني حيث عنون الكتاب السادس بعنوان «شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو منصور الماتريدي» يُشير المؤلف في هذا الكتاب إلى وحدة الأصول الكلامية الجامعة بين شيوخ ما وراء النهر (الماتريدية) وشيوخ الأشعرية مما يؤكد التقارب الواضح بين المدرستين فيما يخص تمسكهما معا بعقيدة أهل السنة والجماعة علمًا بأن مصطلح أهل السنة والجماعة قد تردد كثيرًا عند الأشعري وخصوصًا في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»، كما تردد كثيرًا عند الماتريدي وخصوصا في «تأويلات أهل السنة»؛ مما يدلل على الارتباط الوثيق بين مصطلح أهل السنة وكل من الأشاعرة والماتريدية على حد سواء.

وبناء على ما سبق في المسألة السابقة يمكن لنا أن نقرر أن الإمام الماتريدي - وكذا الإمام الأشعري- لم يكونا أول من تكلم بلسان أهل السنة، إنما سارا على خطى من سبقهما فازداد بذلك مذهب أهل السنة حجة وبيانًا حيث إن كليهما بسط المذهب وشرحه وألف في نصرته، ولم يكونا مبتدعين كما ذكر ذلك الزبيدي في إتحاف السادة المتقين.

فمذهب الإمام الماتريدي هو عين مذهب الصحابة والسلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المستمد أصلًا من الكتاب والسنة، لكنه نصر مذهبهم جامعًا لأدلة النقل والعقل بما يناسب الشبهات المثارة في زمانه، وإنما بسط الكلام في ذلك -أكثر من السلف- لظهور بدع مستحدثة لم تظهر في زمن السلف الصالح، فكان لا بد من التصدي لها وردها بما يناسب زمانها.[1]

(١) منهج الإمام أبي منصور الماتريدي العقدي بين النقل والعقل، ص ٧٨، د. مروة محمود خرمة، إستانبول ٢٠١٢م، وينظر في ذلك أيضا ما ذهب إليه محققا كتاب التوحيد في تركيا من أن الاطلاع الدقيق للتراث الكلامي في المرحلة الأولى قد يؤدي بنا إلى الاعتراف بأن ما ألف في هذا التراث ووصل إلى مرتبة الكمال في التأليف هو ما ألفه أبو منصور الماتريدي في ذلك، مقدمة تحقيق كتاب التوحيد بتركيا، المقدمة/ ١٦.

عـلى أننـا يجب أن ننبه إلى أن الماتريدي رغم توافقه تقريبا لمنهج الأشـعري لم يكن تابعًا لـه حيث تؤكـد بعض المصادر - وهـذا هو الصواب- على تقدم الماتريدي وسـبقه للأشـعري في هـذه المهمـة، وأن اللـه سـبحانه وتعالى خصـص لكل زمان ومـكان من يقـوم بنصرة الحق و إظهاره، فتحمل التبعة في ذلك الوقت كلا الإمامين و إن سـبق أحدهما الآخر في هذا المضمار الأهم في نصرة مذهب أهل السـنة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فهما معًا جناحا أهل السنة كما أسلفت البيان.

## المبحث الثالث

# بعض آيات الصفات الخبرية بين السلف والمتكلمتن

بادئ ذي بدء أقول: إن البحث في الصفات الإلهية لم يحدث إلا في جيل التابعين أي حوالي نهاية القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني.

وقد حدد المقريزي موقف الصحابة في قوله: «مَنْ أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه ﷺ بل كلهم فهموا معنى ذلك فسكتوا عن الكلام في الصفات ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات[١] أوصفه فعل[٢]، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية، من العلم، والقدرة، والحياة، الإرادة، والسمع، والبصر والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام والعز والعظمة، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم لشيء من هذا، ورأوا أجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمد سوى كتاب الله تعالى، ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية، ولا مسائل الفلسفة[٣].

هذا وقد سار السلف[٤] على منهج الصحابة فلم يبحثوا في قضية الصفات بل أثبتوا من غير تشبيه ونزهوا من غير تعطيل، سئل مالك ابن أنس (ت ١٧٩هـ - ٧٩٥م) عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فأجاب بقوله «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[٥].

---

(١) الصفات الذاتية هي الصفات التي يوصف الله بها ولا يوصف بضدها مثل القدرة والعزة والعظمة.

(٢) الصفات الفعلية ما يجوز أن يوصف الله بضدها كالرضا والرحمة والسخط والغضب ونحوها. انظر: التعريفات للجرجاني ص١٧٣. ط مصطفى الباب الحلبي ١٣٥٧هـ.

(٣)الخطط للمقريزي جـ٤ / ٤٣٤، ٤٣٥ تحقيق د/أيمن فؤاد سيد ط مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٤) المقصود بالسلف: هم الذين يرون أنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام إلا من القرآن الكريم والسنة المبينة له. انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، صـ ١٧٩، ط دار الفكر العربي كما بينت ذلك في موضع سابق.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٣ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - ط مؤسسة الحلبي القاهرة.

والصفات الخبرية أو السمعية هي ما كان الدليل عليها مجرد السمع، وهو الخبر الصادق الذي جاء به الكتاب أو السنة الصحيحة، أما العقل فليس له دور في إثبات هذه الصفات؛ لأنها من الغيبيات التي لا تدخل في نطاق قدرته. وأما وظيفة العقل هنا أن يفهم ما تضمنته النصوص من معاني صفات الله و يعتقدها اعتقادًا جازمًا[١].

هذا وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت هذه الصفات لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

و إذا كان موقف السلف من الصفات عمومًا هو التفويض فإنهم فيما يخص الصفات الخبرية يتفقون تمامًا مع ما قالت به الأشاعرة والماتريدية بتأويل تلك الصفات؛ نفيًا للتجسيم الذي ربما وقع فيه السلفيون دون قصد مما يدل دلالة قاطعة على أن الجميع أعني السلفيين والمتكلمين من الأشاعرة والماتريدية غايتهم واحدة تقريبًا فيما يخص الصفات الإلهية وخصوصا الصفات الخبرية كما هو واضح من تفسير آيات الصفات الخبرية عند الطبري والسيوطي كمثال للتفسير بالرواية وهو موقف السلف، وتفسير الماتريدي كمثال للتفسير بالرواية والدراية معا وهو موقف المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية.

أما عن موقف السلف من مسألة الصفات فإنني أورد ما قاله ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح حيث يقول:

«والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، و ينزهونه عن النقائص التي تمتنع عن الخالق ولا يتصف بها المخلوق، يصفونه بالحياة والقدرة والرحمة، والعدل، والإحسان، و ينزهونه عن الموت والنوم، والجهل، والعجز، والظلم، والفناء، و يعلمون مع ذلك أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه، ولا يقدر كقدرته، ولا يرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه، ولا يبصر كبصره، ولا يخلق كخلقه، ولا يستوى كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص][٢].

(١)انظر: الماتريدية دراسة وتقويمًا، د. أحمد بن عوض الله الحربي، صـ٢٦٧.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية جـ١ / ٢٠٨ تحقيق سيد عمران، ط دار الحديث القاهرة.

وحول موقف الأشعري من الصفات الخبرية نجد ذلك واضحًا في الإبانة حيث يقول حول إثبات الوجه لله تعالى بلا كيف وكذلك العين:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فأخبر أن له سبحانه وجها لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك. وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ من الآية [هود: ٣٧].

فأخبر تعالى أن له وجهًا وعينًا ولا تكيَّف ولا تحد.(١)

وكذلك فيما يخص اليد يقول الأشعري في الإبانة:

قد سئلنا أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك بلا كيف، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥](٢).

أما عن موقف الماتريدية من الصفات الخبرية فإنهم قد أولوا تلك الصفات كما قال بذلك السلف حيث إنهم يرون أن في إثبات تلك الصفات على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم، وأن حمل النصوص على ظاهرها يفضي إلى تعارض العقل والنقل، وأن حمل النصوص على ظواهرها يؤدي أيضا إلى وقوع التناقض في كتاب الله(٣).

وبناء على ما سبق فإن الماتريدية لم تنف تلك الصفات كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين(٤)، ولكنهم في الحقيقة أولوا تلك الصفات كما أشرت سابقًا، والأدلة على ذلك نأخذها من تفسير الماتريدي المسمى «بالتأويلات» وذلك على النحو التالي:

**الدليل الأوّل:**

في تفسير الماتريدي لقوله تعالى في سورة المائدة ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) الإبانة للأشعري ص ١٢١، مرجع سابق.

(٢) الإبانة، ص ١٢٥.

(٣) انظر: الماتريدية دراسة وتقويما د أحمد بن عوض الله الحربي، صـ ٢٦٨، ط دار الصميعي.

(٤) قال أ. د. أحمد بن عوض الحربي بأن الماتريدية لما التزمت بالعقل مصدرًا أساسيا للتلقي، وقرروا بأن العقل لم يدل على غير الصفات الثمانية التي أثبتوها، قالوا بنفي جميع الصفات الخبرية، والحقيقة أن هذا غير صحيح بل إنهم أولوها تنزيها للخالق ولم يقولوا بنفيها انظر: الماتريدية دراسة وتقويما د أحمد بن عوض الله الحربي صـ ٢٦٧ ط دار الصميعي.

يقول الماتريدي: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ لم يقولوا: يده مغلولة إلى عنقه، ولكن ممسكة عنهم الرزق، فلا تُبسط كما كان يَبْسط، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. نهى عن البخل في الإنفاق، لا أنه أراد حقيقة غل يدهِ إلى عنقه. فعلى ذلك قولهم «يد الله مغلولة» كناية عن البخل ووصفٍ به، لا حقيقة الغل، وبالله العصمة.

**إلى أن يقول:**

ثم لا يحتمل أن يفهم إضافة اليد إلى الله ما يفهم من الخلق لما وجد إضافة اليد إلى من لا يحتمل أن يكون له اليد. من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

لا يفهم من القرآن اليد كما يفهم من الخلق فعلى ذلك لا يجوز أن يفهم من إضافة اليد إلى الله تعالى كما فهم من الخلق. ألا ترى أنه قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، وقال: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. لم يفهم منه اليد نفسها؟ وكذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، لكن أضيف ذلك إلى اليد لما باليد يقدم، ويعطى، ويكسب ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]. ومعلوم أنه لم يفهم من اليد نفسها، ولكن أضيف ذلك إليه لما ذكرنا، والله أعلم»[(١)].

**الدليل الثاني:**

في تفسير الماتريدي لقوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ قال بعض أهل التأويل: «بأعينا» بأمرنا «ووحينا». وقال بعضهم: بمنظرنا ومرأى منا ولكنه عندنا يحتمل وجهين:

**أحدهما:** قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بحفظنا ورعايتنا؛ يقال: عين الله عليك، أي حفظه عليك. ثم لا يفهم من قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ العين نفسها على ما نفهم من قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]ولكن ذكر الأيدي لما في الشاهد أن ما يقدم باليد، ويكتسب باليد. فعل ذلك العين لما بالعين يحفظ في الشاهد.

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، جـ٢/٥٢، ط بيروت - لبنان.

**والثاني:** قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بإعلامنا أيّدك لأنه لولا تعليم الله إياه اتخاذ السفينة ونجرها لم يكن ليعرف أن كيف يتخذ؟ وكيف ينجر؟، إنما عرف ذلك بتعليم الله إياه، والله أعلم»[١].

وبناء على ما سبق فإن الماتريدي هنا يؤول العين بمعنى الحفظ والإعلام، ومن ثمَّ فهو هنا يميل إلى تأويل الصفات الخبرية لا إلى نفيها كما أشرت سابقًا والله المستعان[٢].

وعلى الرغم من تأويل الماتريدية للصفات الخبرية فإننا نجد عندهم من يثبتها على حقيقتها كما وردت في القرآن الكريم وهم في ذلك يقتربون كثيرًا من منهج السلف وموقفهم من الصفات الخبرية حيث يقول: أبو اليسر البزدوي في أصول الدين:

«وأما اليد فنقول به كما قال تعالى ولكن نقول: صفة خاصة، وأمَّا العين فبعض أهل السنة والجماعة أثبتوا العين، وبه قال الأشعري وبعضهم لم يثبتوا، وكتاب الله تعالى يدل على الثبوت، ولكن عينه ليست بجارحة، بل هي صفة خاصة»[٣].

وفي نهاية حديثنا عن مسألة الصفات الإلهية بين السلف والمتكلمين بقي لنا تساؤل مؤدّاه: ما الدافع وراء خوض المتكلمين في تلك المسألة؟ وللإجابة عن التساؤل الأوّل أقول: إن المتكلمين وعلى الأشاعرة الماتريدية قد خاضوا في الحديث عن الصفات الإلهية بالتصور الذي تحدثنا عنه سابقًا أقول: إنهم خاضوا في مسألة الصفات بسبب ظروف العصر التي كانت تحيط بهم، حيث إن المفكر لا يمكن أن يعيش بمعزل عن ظروف عصره، ولما كانت ظروف العصر تقتضي من المتكلمين الحديث عن الصفات تحدثوا كل من زاوية تخالف الزاوية التي يتحدث منها الآخر، وإن كان السبب عند الجميع واحدا وهو إثبات التنزية للذات الإلهية مع إثبات الصفات، لها لا كما زعمت اليهود وادّعت النصارى[٤].

---

(١) السابق جـ٢/ ٥٢٥، ٥٢٦.

(٢) جهود المدرسة الماتريدية في الرد على أهل الديانات الأخرى، د. أحمد حمدي، ص ١٠٤، مرجع سابق.

(٣) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي صـ٣٩ تحقيق د/ هانز بيترلنس المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) جهود المدرسة الماتريدية في الرد على أهل الديانات الأخرى، د. أحمد حمدي، ص ١٠٥، مرجع سابق.

## نتائج الدراسة

**يمكن للباحث إيجاز نتائج البحث في النقاط التالية:**

١- مصطلح أهل السنة والجماعة ليس حكرًا على أحد، و إنما منهج للمتمسكين بالقرآن الكريم وصحيح السنة الصحيحة عن النبي ﷺ.

٢- الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة، وليسوا سبب وقوع الشرك والضلال بين المسلمين.

٣- الواقع يثبت أننا بحاجة إلى عقيدة بلا مذاهب.

٤- الأمة الإسلامية بحاجة إلى التمسك والترابط في هذه الآونة أكثر من أي وقت مضى.

# قائمة المصادر والمراجع

١- الإبانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د. فوقية حسين محمود، ط١دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

٢- الأنساب للسمعاني، ط دار الجنان.

٣-أبو الحسن الأشعري شيخ أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد إبراهيم الفيومي، ط١٤٢٣١هـ-٢٠٠٣م.

٤- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.

٥- تبيين كذب المفتري لابن عساكر. ط دمشق سنة ١٣٤٧هـ.

٦- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة للماتريدي، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨- تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة للماتريدي، تحقيق د. إبراهيم عوضين وسيد عوضين، ط٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩- التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

١٠- التوحيد للماتريدي لبكر طوبال أوغلي ود/ محمد آروتشي، ط مركز البحوث الإسلامية، تركيا، أنقرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١١- جهود المدرسة الماتريدية في الرد على أهل الديانات الأخرى حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. أحمد حمدي، ط١ المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١٦م.

١٢- رجال الفكر والدعوة لأبي الحسن الندوي، ط جامعة دمشق ط ١ ١٣ شعبان ١٣٧٩ هـ ١٠ شباط ١٩٦٠م.

١٣- رسالة الأشعري إلى أهل الثغر، تحقيق د محمد السيد الجليند ط١ ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣م، المكتبة الأزهرية للتراث.

١٤- شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي، د. محمد إبراهيم الفيومي، ط دار الفكر العربي ٢٠٠٣م.

١٥- عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، أيوب علي، رسالة دكتوراه بدار العلوم - جامعة القاهرة.

١٦- المدخل لدراسة علم الكلام، د. حسن الشافعي، مكتبة الثقافة العربية.

١٧- مفتاح السعادة، تحقيق كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور ط دار الكتب الحديثة.

١٨- منهج الإمام أبي منصور الماتريدي العقدي بين النقل والعقل، د. مروة محمود خرمة، إستانبول ٢٠١٢م.